يوم الفـــاروق

لحضرة صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك

صفَاورْدُه عذبًا، وطابَتْ مناهلُهْ ... وجلَّتْ يدُ الدهر الذى عزَّ نائلُهْ

وأقبـــل مُنقادَ العنانِ مُذَلَّلاً ... تطامَنَ مَتْنَاه، ودانت صَوائلُه

يُطأطِىءُ للفاروق رأساً وتَنْحَنى ... أمامَ سَنَا المَلْكِ المَهيبِ كواهلُه

تلفَّتَ فى الآفاق شرْقًا ومغربا ... فلم ير فى أنْحَائِها من يُماثله

رأى مارأى! لم يَلْقَ عزْمًا كعزمه ... تَقُدُّ مواضِيه، وتَفْرِى مَناصِله

يذوبُ مَضاءُ السيف عند مضائه ... فما هُوَ إلاَّ غِمْدُه وحَمائلُه

إذا ما انتضاهُ فالسُّعودُ أعِنَّةٌ ... إلَى ما يُرَجّى، واللياليِ رَواحِله

رأى طلعةً لو أنّ للبدر مِثْلَهَا ... لَمَا انحدرتْ دون النجوم منازلُه

عليها شعاعٌ لو رَمَى حائلَ الدجَى ... لفاخَرَ وجْهَ الصبح فى الحسن حَائله

تراها فتغضى للجلال، وربَّما ... تَشَوَّفَ لحظُ العين لو جال جائله

هو الشمسُ، يدنو فى الظهيرة ضوءُها ... ويصعُبُ مَرآها على مَن يحاوله

هو الروض، أو أزهَى من الروض نضرةً ... إذا داعبت وَجْهَ الربيع خمائله

هو الأملُ البسامُ ، رفَّ جناحُه ... فطارتْ به مِنْ كُلِّ قلبٍ بلابلُه

هو الكوكبُ اللمَّاحُ ، يسطعُ بالمنى ... وتنطقُ بالغيث العميم مخايلُه

ترى بَسْمَةَ الآمال فى بَسَماتِهِ ... وتلمحُ سرَّ النُّبْلِ حين تُقابلُه

شبابٌ كما يصفُو اللجين ، كأنَّما ... تمثَّلَ مِنْ ماء الفراديس ناهلُه

يُفَدِّيه غصنُ الدوح ريَّانَ ناضِرًا ... إذا اهتزَّ فى كفِّ النسائم مائلُه

تطلَّعَ رُمْحُ الخطِّ يبغى اعتدالَه ... فعادَ حسيرًا ينكتُ الأرضَ ذابلُه

ومِنْ أينَ للرمح المثقَّف عزْمُه ... ومِنْ أينَ للرمح الطويل طَوائلُه ؟

إذا حفزَتْه الحادثاتُ رأيتَه ... وقد شكَّ أحشاءَ الحوادثِ عاملُه

علاَ به تحدّى الدهرَ فى بُعْدِ شأوِه ... فمن ذا يُدانيه ، ومن ذا يُفاضلُه ؟

ورأْىٌ كأنفاس الصباح ، وقد بدا ... تَشِفُّ مجاليهِ ، وتهفُو غلائلُه

وخُلْقٌ كمُخْضَلِّ النَّسيم بروضةٍ ... ذوائبُه نفَّاحةٌ وجدائلُه

يَمَسُّ جبينَ النيل فى رِفْقِ عاشقٍ ... وتفتَحُ أكمامَ الزُّهورِ مَساحِلُه

* * *

دعوتُ إليك الشعرَ فانقادَ صعبُه ... وقد كان قبل اليوم شُمْسًا جوافِلُه

وما كدتُ أدعو الوحى حتى سمعتُه ... تبادِهُنى آياتُه ورسائلُه

خيالٌ إذا أرسلتُه إثرَ نافر ... أتتْ بأعزِّ الآبداتِ حبائلُه

ولفظ كوجه الروض فى مَيعة الضحى ... وقد صدحت فوق الغصون عنادله

إذا قلته ألقى عُطارد سمعه ... وساءل شمس الأفق مَن هو قائله

وإن سارت الريح الهبوب بجرسه ... فآخر أكناف الوجود مراحله

إذا ذُكر الفاروق فاض معينه ... وسحّت قوافيه ، وعبّت حوافله

يقول ، ومالى حين أكتب قوله ... من الفضل شىء غير أنّى ناقله

رأى ملكا يحيا القريض بوصفه ... فضائله جلّت وعمّت فواضله

رأى ملكاً يُزهى به الدين والتقى ... شمائل أملاك السماء شمائله

رأى ملكاً كالنيل ، أمّا عطاؤه ... فغمر ، وأمّا المكرمات فساحله

فغرّد فى الاجواء باسمك طيره ... وردّد فى الآفاق ذكرك هادله

وصاغت لك التبر المصفّى فنونه ... وحاكت لك البُرد الموشّى أناملة

ولم يُبق من نسج السحائب زهرةً ... ترف ندى إلا حوتها فواصله

وصبّ شعاع الشمس تاج مهابةٍ ... لمن توّجته بالفخار فضائله

وفكّ رموز السحر من أرض بابلٍ ... لأجلك حتى استنجدت بك بابله

أعدتَ له عهد الرشيد فأسرعت ... إلى سُدّة الفاروق تشدو بلابله

وما أنتَ فى الأملاك إلا قصيدةٌ ... تفاعيلها البرُّ الذى أنت فاعله

يهبُّ طريح الشعر فى دَولة النهى ... وتُلهم أسرارَ البيان مقاوله

حملتُ له الريحانَ يوم زفافهِ ... نضيرَ الحواشى، ينشرُ المسكَ خاصِلُه

أزاحِمُ للفاروق حشداً كأنه ... خِضَمٌ من الأمواج، ضاقتْ سبائله

يغطى أديمَ الأرض عزَّ اختراقُه ... وسُدَّتْ على أقوى الرجال مداخله

إذا أنتَ لم تعرفْ مدى أخرياته ... فسَلْ طرفَك المحدودَ أينَ أوائله

حملتُ له الريحانَ، أرفعُ مِعْصَمى ... إلى الملكِ الفردِ الذى فاز آمله

وقد ملأ الأُنسُ الوجوهَ فأشرقتْ ... من البِشْر، حتى كاد يقطرُ سائله

* * *

طلعْتَ على الجمع الحفيلِ بموكبٍ ... يبادلك الشعبُ المنى، وتبادله

مواكبُ لم يُعرف لرمسيسَ مثلُها ... ولا خطرَتْ فى مِثلهنَّ قنابله

يحيطُ بها عزُّ المليك ومَجْدُه ... وتزحمُها فُرسانه وصواهله

إذا امتلك الحبُّ النفوسَ هفَتْ له ... سراعاً، وأعطَتْ فوق ما هو سائله

رأوْكَ فعالَوْا بالهُتاف كأنَّما ... ينافسُ نِدٌّ نِدَّهُ ويساجله

كأنهمُ جيشُ الغمائم أرَّقتْ ... رواعدُه جَفنَ الدجى وزَواجله

فلا عين إلا وهْى ترتقب المنى ... ولا صَدْرَ إلا فارحُ القلب جاذله

وقد رُفعتْ أعلامُ مصرَ خوافقا ... يغازلها مَسُّ الصَّبَا وتغازله

فإنْ كانَ مِنْ عَيْن، فإنَّكَ نورُها ... وإنْ كان مِنْ قلبٍ، فإنك آهله

وإنْ كان من دهرٍ فأنتَ نعيمُه وإن كان من فضل ، فإنَّكَ باذله

***

رأى فيكَ هذا الشعبُ آماله التى تمنَّى على الأيام وهْىَ تُماطله
أحبَّكَ حتى صار حُبُّكَ رُوحَه ونورَ أمانيه الذى لا يُزايله
فمن شاء برهاناً على صادق الهوى فتلكَ الجموعُ الزاخراتُ دلائله
نثرتَ بُذور الحُبِّ فى كل مُهْجة وتلك التى تهفو إليكَ سَنَابله
حياتُك يا فاروقُ للدين عصمةٌ وأعمالك الغُرُّ الجسامُ معاقلُهْ
منابره تهتَز باسمـــك فوقها وتلتفُّ من شوْق عليك محافله
تعفر بالتُّرْبِ الجبينَ الذى عنا له الشرق وانقادتْ إليه جحافله
لهُ لمعاتُ المُشرفىّ ازدهَت به على كل أبناء الْعُمُودِ صَيـــاقله
لياليك أقمارُ الزمان وسَعْدُه وأيامكُ البيضُ الحِسَانُ أصائله
قد اختارك الرحمنُ موضعَ فضْلِهِ إذا عزَّ موصُولٌ فقد جلَّ واصِلُهُ

***

هنيئاً لك اليوم السعيد الذى زها على الدهر لمَّا لَمْ يجد مايشاكله
يذكِّرُنَا المأمونَ يَوْمَ زِفافه وقد مَشَتِ الدنيا إليه تحـــامله
وَسَالَ به سيلُ النضارِ كأنَّما تفجَّرَ من بين السحائب وابله

وأينَ مِنَ المأمُونِ أوْ مِنْ زِفافه ... جلالةُ مُلكٍ أعجزَتْ مَنْ يُطاوِلهْ؟
أبَى الدهرُ أنْ يَلقَى لِيومِك ثانيًا ... يقاربهُ - فى نُبلِه أو يعادله

***

تخيرْتَ من وادى الكنانةِ زَهْرةً ... تتيهُ بها جَنَّاتُه وَظلائله
«فريدة» مَجْدٍ، يعرفُ المجدُ قدرَها ... وتُزْهَى بها يوم الفَخَارِ عقائله
ودُرَّةُ خِدْرٍ أقسَمَ الخِدْرُ أنَّه ... على مثلها لم تُلْقَ يومًا سَدائله
يتيه بها صافِى الشَّبابِ ونَضْرُهُ ... وتسمُو حَوَالِيهِ بها ، وعَواطله
تخيَّرْتَها فوق السحاب مكانةً ... وأَصْفَى من الماء الذى هُو حامله
حباها إلهُ العرش أكبرَ نِعْمَةٍ ... فجلَّتْ أياديه ، وعَمَّتْ جلائله
فعشْ فى رفاءٍ بالبنينَ ممتَّعا ... يُضيءُ بك الوادى وَيَخْضَرُّ ماحله
ودُمْ لبنى مصر أمانًا ورحمَةً ... فأنتَ حمى النيلِ الوفىُّ ، وعاهِلُه

على الجارم